المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:08، العدد:02 (2024)، ص92-108

نضال الحاج علي عبد القادر ضد الاستعمار الفرنسي بين الشيوعية والوطنية (1883-1949م)

The struggle of Hajj Ali Abdelkader against French colonialism between communism and nationalism (1883-1949)

خالد قويرصان
جامعة البليدة 02 (الجزائر)
khaled47ehs@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/07/25
تاريخ القبول:
2024/10/04

الكلمات المفتاحية:
- ✓ النضال السياسي
- ✓ الاستعمار
- ✓ الشيوعية
- ✓ فرنسا

الملخص:

يعد الحاج علي عبد القادر من أبرز الجزائريين المناضلين ضد الاستعمار بعد الحرب العالمية الأولى، فباعتباره من المهاجرين الأوائل إلى فرنسا مطلع القرن العشرين كان من الجزائريين القلائل الذين رفعوا لواء محاربة الاستعمار من داخل المنظمات الفرنسية نفسها خصوصا الحزب الشيوعي الفرنسي واتحاد ما بين المستعمرات، ونشط في الكتابة في عدة صحف شيوعية وساهم نشاطه الصحفي في تعريف المجتمع الفرنسي بمعاناة شعوب المستعمرات بصفة عامة والشعب الجزائري بصفة خاصة، وقد كان له دور ريادي في تأسيس نجم شمال إفريقيا الذي عين كأول رئيس له، لكن نضال الحاج علي عبد القادر عرف انتكاسة كبيرة بعد أن ظهر الخلاف بين الحزب الشيوعي الفرنسي ومناضلي النجم حول المطالب الاستقلالية، وهو الأمر الذي أثر كثيرا على موقفه حيث كان مناضلا بارزا في التنظيمين ما دفعه لمغادرتهما لكن دون التخلي عن النضال ضد الاستعمار.

Article info

Received:
25/07/2024
Accepted:
04/10/2024

Key words:
- ✓ Political struggle
- ✓ Ccolonization
- ✓ Communism
- ✓ French

Abstract:

Hajj Ali Abdelkader is considered one of the most prominent Algerians fighting against colonialism after World War I. As one of the first immigrants to France at the beginning of the twentieth century, He was one of the few Algerians who raised the banner of fighting colonialism from within the French organizations themselves, especially the French Communist Party. He was active in writing in several communist newspapers and his journalistic activity contributed to introducing French society to the suffering of the peoples of the colonies, He played a pioneering role in establishing the North African Star, of which he was appointed its first president, but the struggle of Hajj Ali Abdelkader suffered a major setback after a dispute emerged between the French Communist Party and the activists of the Star over independence demands.

نضال الحاج علي عبد القادر ضد الاستعمار الفرنسي بين الشيوعية والوطنية (1883-1949)

مقدمة

شهد العالم بعد الحرب العالمية الأولى تغيّرا كبيرا في الأوضاع السياسية الدولية، فرغم تمسك الدول الاستعمارية بالإبقاء على مصالحها بالمستعمرات، ظهرت الأفكار التحررية في العالم وانتشرت أكثر بإعلان مبادئ الرئيس الأمريكي ويلسون الأربعة عشر خاصة المبدأ القاضي بحق الشعوب في تقرير مصيرها، إضافة إلى قيام الأممية الشيوعية ورفعها لمبدأ محاربة الامبريالية والاستعمار، وقد لفتت هذه التغيرات الدولية فئة من المهاجرين الجزائريين المتواجدين بفرنسا والذين تأثروا من سياسة الاستعمار في بلدانهم فأخذوا على عاتقهم رفع لواء محاربة الاستعمار والدفاع عن مصالح شعوبهم عن طريق المنظمات الفرنسية نفسها، ومن بين هؤلاء المهاجرين نجد الحاج علي عبد القادر الذي نشط في عدة تنظيمات فرنسية بدءا بالحزب الاشتراكي ثم الحزب الشيوعي الفرنسي ومختلف أجهزته، ولم يدخر جهدا في سبيل فضح فظاعة الاستعمار والدفاع عن قضية البلدان المستعمرة والسعي للتخفيف من معاناة شعبه، وقد عمل الحاج علي رفقة عدد من المناضلين الجزائريين والمغاربيين على تأسيس أول تنظيم يطالب باستقلال الجزائر في التاريخ المعاصر، ورغم دوره الريادي في تأسيس وانطلاقة نجم شمال إفريقيا الذي عيّن كأول رئيس له فإن سيرة الحاج علي عبد القادر لم تأخذ حقها من الدراسة مقارنة برفقائه في النجم وهنا تتمحور إشكالية البحث حول **نشاط الحاج علي عبد القادر في محاربة الاستعمار وما هي أبرز محطاته؟ وكيف كان موقفه من الخلاف بين نجم شمال إفريقيا والحزب الشيوعي الفرنسي؟**

1. نشأة الحاج علي عبد القادر وهجرته إلى فرنسا

ولد الحاج علي عبد القادر في 23 ديسمبر 1883 بسيدي سعادة بالقرب من غليزان التابعة إداريا ذلك الوقت لمعسكر (Stora, 1985 A, p. 51)، نشأ وسط عائلة من ملاك الأراضي بمنطقة أولاد سيدي ويس، وبها تعلم وحفظ القرآن الكريم في سن عشر سنوات، اضطر الحاج علي عبد القادر في سن الرابع عشر للتنقل إلى معسكر للعمل بعد مصادرة الاستعمار لأراضي عائلته واشتغل بمحل للخردوات، هاجر إلى فرنسا سنة 1905 واستقر بباريس أين عمل في البداية كبائع متجول قبل أن يشتغل في متجر للخردوات (Righi, 2006, pp. 46-48).

بعد مدة من استقرار الحاج علي عبد القادر بفرنسا تزوج من امرأة فرنسية وحصل على الجنسية الفرنسية سنة 1911، بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى تم تجنيده في سبتمبر من سنة 1914 لكنه أصيب في بوردو وتم نقله إلى المستشفى حيث مكث به حتى نهاية الحرب، عاد بعدها إلى باريس وأنشأ محل خاص به للخردوات (Stora, 1985 A, p. 52).

2. نشاطه السياسي

كان الحاج علي عبد القادر من أوائل المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا بداية القرن العشرين والذين عانوا من عزلة اجتماعية وسياسية في بداياتهم ومن سوء معاملة أرباب العمل، وقد أدرك الحاج علي هذا الواقع ورأى

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

في النقابات العمالية وسيلة للحماية من ظلم الرؤساء، فانخرط في البداية في نقابة الكنفدرالية العامة للشغل (CGT) سنة 1907 وفيها تعلم تقنيات النضال الاجتماعي وكانت له مدرسة للتدرب على النضال المناهض للاستعمار، كما انضم إلى الحزب الاشتراكي الفرنسي (SFIO) ما بين سنوات 1909 و1910 وبه تعلم مبادئ العمل السياسي (Righi, 2006, pp. 69-78).

وبعد تأسيس الحزب الشيوعي الفرنسي (PCF) غداة انقسام الحزب الاشتراكي الذي كان ينتمي إلى الأممية الثانية في مؤتمر "**تور**" في ديسمبر 1920 حينما صوتت الأغلبية على الشروط الواحدة والعشرين للقبول في عضوية الأممية الثالثة (قنانش، 1982، صفحة 30)، جذبت أفكار الحزب الشيوعي الحاج علي عبد القادر كغيره من أبناء المستعمرات الفرنسية في إفريقيا وجنوب شرق آسيا خصوصا الشرط الرابع المتضمن الدعاية للأفكار الشيوعية والعمل الثوري بكل الوسائل والشرط الثامن الداعي لمحاربة الاستعمار وتشجيع الحركات التحررية[1]، فكان الحاج علي من السباقين للانضمام إليه بداية سنة 1921 وكان عضوًا في القسم الخامس (Stora, 1985 A, p. 52)، كما انضم إلى نقابته الكونفدرالية العامة للعمل الوحدوي (CGTU).

برز الحاج علي عبد القادر في الحزب الشيوعي الفرنسي منذ بدايته بفضل خصاله المتميزة، فقد كان مناضلا ذكيا وداعيا ممتازا وخطيبا بليغا، ما أهله لتقلد عدة مناصب متقدمة في الحزب من خلال لجانه الحزبية مثل لجنة الدراسات الاستعمارية Comite D'études Coloniales الذي عين كعضو فيها، وأصبح يشارك بانتظام في مؤتمرات الحزب ويحضر على رأس اجتماعاته رفقة كبار المناضلين من الحزب (L'Humanité, 17 Octobre 1922)، كما أصبح عضوا في اللجنة الاستعمارية للحزب الشيوعي الفرنسي (CCC) وهي أعلى هيئة في الحزب لإدارة قضية الاستعمار (مصالي، 2007، صفحة 127)، وفي سنة 1924 أصبح الحاج علي عبد القادر أول جزائري يعين عضوًا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي (CSC) (Righi, 2006, p. 113)، وأول جزائري يقدمه الحزب الشيوعي للانتخابات البرلمانية التي أجريت في ماي 1924، وعند إنشاء الحزب الشيوعي الفرنسي لاتحاد ما بين المستعمرات سنة 1921 (L'Union Intercoloniale) [2] كان الحاج علي عبد القادر عضوا مؤسسا له وأول جزائري ينشط فيه (بلحاج، 2018، صفحة 391)، وتولى قيادته لفترة من الزمن قبل يكلفه الحزب الشيوعي بالتدريس في المدرسة الاستعمارية التي افتتحها في فيفري 1925 لتكوين إطارات الحزب من أبناء المستعمرات على العمل السياسي والنضال الثوري (Stora, 1985 A, p. 52).

3. نضال الحاج علي عبد القادر في اتحاد ما بين المستعمرات

ناضل الحاج علي عبد القادر في اتحاد ما بين المستعمرات جنبا إلى جنب مع مناضلين بارزين أمثال الفيتنامي هو تشي منه رائد النهضة القومية في الهند الصينية والرئيس الأول لفيتنام الشمالية(1945-1969) والسنغالي لمين سنغور، ورافع عن قضية المستعمرات ومعاناة الأهالي من الظلم والاضطهاد، ودعا الحزب الشيوعي الفرنسي لبذل مزيد من الجهد لتطبيق الشرط الثامن للأممية الثالثة والعمل بفعالية من أجل تحرير

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

المستعمرات، ولم يكن يخشى من إبداء رأيه وانتقاد إدارة الحزب عدة مرات أمام تراخي بعض المناضلين من الحزب لأجل قضية الاستعمار، واحتج الحاج علي عبد القادر بشدة على هيمنة الفرنسيين على اللجنة الاستعمارية واتهم جاك دوريو رئيس اللجنة الاستعمارية للحزب بمخالفة قرارات الكومنترن[3]، ورفض تشكيل اللجنة الاستعمارية المكونة من 05 أعضاء مع عضوين 02 من المستعمرات مقابل 03 فرنسيين، وطالب بالمساواة في التمثيل باللجنة واقترح إنشاءها من 08 أعضاء تتألف من 04 أعضاء من المستعمرات يمثل كل عضو مجموعة من المستعمرات و04 أعضاء فرنسيين، كما رفض إنشاء اللجان الفرعية حسب مجموعات من الدول تتوسل لصالح دمج "**المستعمرين**" في هيئات الحزب ذاتها، وبرفضه هيمنة الفرنسيين على اللجنة الاستعمارية أظهر الحاج علي شخصيته القوية وروحه النضالية (Céline Marangé, 2016, p. 60).

وانتفض الحاج علي عبد القادر من تقرير قدمه شيوعيو الجزائر يتضمن تحفظهم على الشرط الثامن للأممية الشيوعية واصفين إياه بالعام للغاية ولا ينطبق على الحالة الجزائرية، لأن العقلية الأهلية الجزائرية حسب رأيهم لن تسمح للشيوعيين بدعم حركات التحرر وإن الجماهير الجزائرية تتميز بجهلها ومازالت غير مستعدة للتحرر الذاتي فما بالك بالاستقلال، ورد الحاج علي عبد القادر على ذلك من خلال مقال نشره في "**النشرة الشيوعية**" le Bulletin Communiste بعنوان "**العمل الاستعماري**" L'action coloniale بتاريخ 14 ديسمبر 1922 أبدى فيه تأسفه من أن مسألة الاستعمار لا تزال مستبعدة من اهتمامات بعض عناصر الحزب الشيوعي الفرنسي، وحذر من أن اللامبالاة في هذا الصدد تشكل خطراً قاتلاً على ثورة دول مثل فرنسا (HADJALI, 14 décembre 1922).

وطالب من الحزب أن يرسم خطاً عاماً لسلوك مناضليه واتحاداته في المستعمرات والقيام بالدعاية والتجنيد بين المواطنين ولتحقيق ذلك عليه مراعاة المطالب الفورية للأهالي وهي:

- إلغاء قانون الأهالي.
- منح نفس الحقوق للمواطنين الفرنسيين وغيرهم.
- إلغاء المحاكم الخاصة.
- المساواة القانونية وإلغاء الإجراءات الإدارية.

وأكد الحاج علي عبد القادر بأنه قد حان الوقت لأن لا تبقى الشيوعية مقتصرة على قلة من الأوروبيين المنتشرين في المستعمرات بينما يتم ترك ملايين من البروليتاريين الأهالي الذين مدوا يدهم لها جانباً (HADJALI, 14 décembre 1922).

وبعد أن علا نجم الحاج علي عبد القادر داخل الحزب الشيوعي الفرنسي، قدمه هذا الأخير كمرشح في الانتخابات النيابية المجراة في ماي 1924، وصدرت دعوة من اتحاد المستعمرات لدعم ترشيح الحاج علي عبد القادر، وفي حملته حرص على التأكيد بأن الحزب الشيوعي كان الوحيد الذي أخذ بعين الاعتبار وبشكل ملموس جميع نداءات الجماهير الاستعمارية المضطهدة، وحصل المرشح الجزائري المقدم في القطاع التشريعي

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الثاني بباريس على عدد كبير من الأصوات ولم ينتخب بفارق عشرين صوتا فقط وحل الثاني في القائمة الشيوعية التي ترشح بها (Jaques Jurquet, 2010, p. 239).

ويصف مصالي الحاج[4] الأثر الكبير الذي تركه ترشح الحاج علي عبد القادر في نفوس المهاجرين من أبناء المستعمرات حيث يقول بأنه تفاجأ عند رؤية اسم عربي كمرشح شيوعي فرنسي وقد كان مندهشا ومسرورا في نفس الوقت، ويضيف عند حضوره لاجتماع ضمن حملته الانتخابية: "...**لقد سمعته يعرض البرنامج السياسي لحزبه ولاحظت بأنه في مستوى ترشحه، وعندما كنت أستمع إليه كنت مغمورا بالأنفة والسرور الكبيرين، فقد صفقت عليه كثيرا، وفي نهاية التجمع اقتربت منه وسلمت عليه بالعربية وهنأته على تدخله الذي ندد فيه بالظلم وبقانون الأهالي**" (مصالي، 2007، صفحة 122).

لقد شكل ترشيح الحاج علي عبد القادر لمنصب نائب في البرلمان الفرنسي حدثًا مثيرًا وذا أهمية كبيرة، وقد احتاج إلى عدد قليل فقط من الأصوات ليربح الانتخابات، وأشير إلى أن تلك الأصوات التي كانت مفقودة منه ضاعت بسبب أصوله وهذا صحيح، إضافة إلى أنه خسر بفارق قليل جدًا مقارنة بالمرشح الفرنسي على رأس القائمة، لكن الأهم هو الأمل الذي بعثه في نفوس الجزائريين وغيرهم من أبناء المستعمرات الطامعين للتغيير، فقد أثبت أنه يمكن أن يكون الشخص من المستعمرات ومنتخبًا في نفس الوقت، فقد كاد لمرشح شيوعي جزائري أن يتوجه إلى البرلمان الفرنسي من خلال أصوات العمال الفرنسيين ويثير المشكلة الاستعمارية، وهذه المسألة وإن لم تتحقق بالفعل إلا أنها بعثت الأمل للتحرر من الاضطهاد الاستعماري السائد (Stora, 1985 B, p. 55).

وفي سنة 1924 بات الحاج علي الرجل الأول في اتحاد ما بين المستعمرات والمتحدث الرئيسي في اجتماعاته خصوصا بعد مغادرة الفيتنامي هوشي منه إلى موسكو لتولي وظائف أخرى داخل الكومنترن (Righi, 2006, p. 171)، وكانت صحف الباريا "**paria**" وليمانيتي "**L'Humanité**" تنقل تفاصيل خطابات الحاج علي وتدخلاته في اجتماعات الإتحاد تحت عناوين عريضة.

4. النشاط الصحفي للحاج علي عبد القادر

أدرك الحاج علي بسرعة دور الصحافة الإستراتيجي في النضال السياسي وأهميتها في تكوين الرأي العام، فقد كانت الوسيلة الإعلامية الأكثر انتشارا في ذلك الوقت وأصبحت سلاحا هاما في يد من يعرف استغلالها لخدمة قضيته، فاقتحم عالم الصحافة من خلال الكتابة الصحفية، وتميزت كتاباته بالنقد الحاد للنظام الاستعماري والشجاعة في نقد معاونيه وحتى المتخاذلين في محاربته من الحزب، ومن خلالها حاول إطلاع القراء الفرنسيين على الوضع المؤسف الذي يعيشه الأهالي في المستعمرات والمعاناة التي يعانيها العمال المهاجرين بفرنسا (Righi, 2006, p. 113).

كان الحاج علي عبد القادر يكتب في الصحف التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي وهيئاته ويوقع مقالاته بأسماء مستعارة مثل "**الحاج بيكو**" و"**علي بابا**" وكذلك "**الغداوي**"، وأهم هذه الصحف "**الباريا**" (Paria) وأصل

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

التسمية من بورما وجنوب الهند وتعني "**المنبوذ**" أو "**المنكور**" وعضو الطبقات الاجتماعية الدنيا، وقد أصدرها اتحاد ما بين المستعمرات شهريا في الفترة ما بين أفريل 1922 إلى أفريل 1926، وكانت منبرا لأبناء المستعمرات ووسيلة لبث أفكارهم التحررية والتنديد بالاستعمار وكان مديرها هوشي مينه (بلحاج، 2018، صفحة 383)، واستطاع الحاج علي رفقة عدد قليل من أبناء المستعمرات من دعم هذه الصحيفة أحيانا من مالهم الخاص فقد كان الحاج علي يساهم بمبلغ 50 فرنك شهريا وهو مبلغ كبير في ذلك الوقت (Righi, 2006, p. 115)، وعلى صفحات الباريا عالج الحاج علي مواضيع مختلفة تتعلق بالاستعمار مثل قانون الأهالي والتمثيل البرلماني للجزائريين ومعاناة العمال المهاجرين بفرنسا.

وعند إصدار الحزب الشيوعي لصحيفة "EL **Kasirna**" الموجهة للجنود المغاربيين في الجيش الفرنسي بعد اقتحام الجيش الفرنسي لمنطقة الرور سنة 1923 على الحدود مع ألمانيا، كان الحاج علي ينشر فيها تحت اسم "**علي بابا**" ودعا الجنود المغاربيين للمؤاخاة مع نظرائهم الجنود الألمان، وقد كان الحزب الشيوعي الفرنسي يرفض هذه الحرب (Stora, 1985 A, p. 52).

ونجد الحاج علي عبد القادر يكتب أيضا في "**النشرة الشيوعية**" le Bulletin Communiste وكان يوقع مقالاته بـ: "**الحاج علي من القسم الخامس**" (HADJALI, 14 décembre 1922).

هذه الخبرة في مجال الصحافة هي التي ستدفع ببعض المؤرخين إلى ذكر دور الحاج علي بعد سنوات في إطلاق جريدة "**الأمة**" الجريدة الوطنية السياسية للدفاع عن مسلمي إفريقيا الشمالية رفقة عدد من مناضلي نجم شمال إفريقيا أكتوبر 1930 (Righi, 2006, p. 122)، ورغم أن مصالي ذكر من مؤسسيها شخص اسمه "**علي**" إلا أن تقارير الشرطة الفرنسية أشارت إلى مساهمة الحاج علي عبد القادر في إنشاء جريدة الأمة (مصالي، 2007، صفحة 152).

كما انضم الحاج علي عبد القادر إلى فريق تحرير جريدة "**الشعب الجزائري**" "**le peuple algérien**" الصادرة عن "**رابطة الدفاع عن مسلمي شمال إفريقيا بفرنسا**" وأصبح رئيس تحريرها في سنة 1935 (Ageron Charles-Robert, 1983, p. 53).

5. الشعور الوطني والقومي في نضال الحاج علي عبد القادر

رغم إقامة الحاج علي عبد القادر الطويلة بفرنسا وانتمائه إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، إلا أن ذلك لم يحدث تغييرا لا في عروبته ولا في عقيدته الإسلامية وبقي مخلصا لقضية بلده ومتضامنا مع أبناء شعبه، ولم يفرق الحاج علي في شعوره بين الجزائريين والمغاربيين حيث اعتبر قضيتهم قضية واحدة ومعاناتهم واحدة بسبب الاستعمار، وكانت السلطات الفرنسية تعامل المهاجرين المغاربيين نفس المعاملة بدليل تأسيسها لهيئة بوليسية لمراقبة عمال شمال إفريقيا بباريس[5]، كما الحاج علي كان يشرح للمغاربيين أهمية الإتحاد السوفياتي ودوره في تحرير الشعوب المستعمرة ولهذا السبب على شعوب المغرب العربي أن ينخرطوا في الأممية الثالثة فهي حسبه لوحة النجاة الوحيدة التي يملكونها للتخلص من الإمبريالية (مصالي، 2007، الصفحات 122-

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

123)، ولذاك سعى لتجنيد الكثير من المهاجرين أمثال مصالي الحاج وغيره في الحزب الشيوعي لتوحيد الجهود والنضال تحت ظله ضد الاستعمار والتدرب على قواعد النضال السياسي، كما كان دوما يدعوا الحزب الشيوعي لبذل المزيد من الجهود لقضية الاستعمار.

وعند نفي الأمير خالد[6] من الجزائر وقدومه إلى فرنسا بداية جويلية 1924 كان الحاج علي عبد القادر من السباقين لاستقباله رفقة عددا من المهاجرين المغاربيين الذين تواجدوا هناك بأعداد كبيرة كعمال في المصانع والمناجم وغيرها، وإن كان الحاج علي قد عارض الأمير خالد سابقا بسبب مسألة الفصل في التمثيل النيابي أمام البرلمان الفرنسي ووصفه "**بالمحرض الطموح**" (Stora, 1985 A, p. 52)، إلا أنه تضامن مع الأمير بعد نفيه من الجزائر وتعاون معه لفضح ممارسات الاستعمار وكان بجانبه في الاجتماعات التي عقدها الأمير برعاية الحزب الشيوعي واتحاد ما بين المستعمرات خصوصا اجتماعي 12 و19 جويلية 1924، وتناول الحاج علي الكلمة في الاجتماعين رفقة الأمير خالد ودعا أبناء المستعمرات للانضمام إلى الحزب الشيوعي للمساهمة بشكل فعال في النضال ضد الاستعمار (L'Humanité, 14 Juillet 1924)، وكان النجاح الكبير لاجتماعي 12 و19 جويلية 1924 بمثابة بداية صعود ملموس في النضال السياسي والنقابي للعمال المهاجرين من شمال إفريقيا إلى فرنسا بالتعاون بينهم وبين المناضلين الشيوعيين والنقابات الاتحادية الفرنسية (Jaques Jurquet, 2010, p. 266).

وقد كان لحضور الأمير خالد بفرنسا تأثير كبير على المهاجرين الجزائريين والمغاربيين، خصوصا الحاج علي عبد القادر الذي ناضل من خلال اتحاد ما بين المستعمرات لأجل عودة الأمير خالد إلى وطنه أولا، وبعد سجن الأمير قام الحاج علي بتنظيم عدة تجمعات احتجاجية (L'Humanité, 23 Septembre 1925)، وشارك في تأسيس "**لجنة العمل من أجل عودة الأمير خالد إلى الجزائر**" التي تأسست في نوفمبر 1925 بباريس (Ageron Charles-Robert, 1983, p. 53).

ويظهر الشعور القومي للحاج علي عبد القادرة مرة أخرى عند مساندة الحزب الشيوعي الفرنسي للأمير محمد ابن عبد الكريم الخطابي[7] في حربه ضد الإسبان، حيث أقام اتحاد ما بين المستعمرات عدة تجمعات لمساندته، وكان الحاج علي عبد القادر من أبرز المتدخلين في تلك التجمعات وكانت خطبه تلهم المستمعين وتستقطب المغاربيين لسماعه حتى أصبح اسمه حاضر بانتظام في إعلانات الاجتماعات المقامة من اتحاد ما بين المستعمرات (L'Humanité, 27 Septembre 1924).

وفي اجتماع لاتحاد ما بين المستعمرات انعقد بتاريخ 11 سبتمبر 1924 كان الحاج علي عبد القادر أول المتدخلين ودعا لاستخلاص العبرة من ثورة الأمير محمد ابن عبد الكريم الخطابي والإتحاد معا ضد الإمبريالية والاستعمار (L'Humanité, 13 Septembre 1924)، وفي 30 سبتمبر 1924 عقد اجتماع بباريس ضم 400 شخص، خطب فيه الحاج علي عبد القادر وحيا الأمير محمد ابن عبد الكريم الخطابي الذي يكافح من أجل استقلال بلاده كما فعل الأمير عبد القادر من قبل (أوقيد، 1988، صفحة 136).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وترأس الحاج علي عبد القادر اجتماعا آخر لاتحاد ما بين المستعمرات يوم 17 أكتوبر 1924 تدخل فيه مهاجرون من المستعمرات الفرنسية في إفريقيا والهند الصينية وجزر غوادالوب، نددوا فيه بسياسة الاستعمار الامبريالية في المغرب ونوهوا بثورة الأمير محمد ابن عبد الكريم الخطابي ودعوا لضرورة الوحدة في نضالهم وطالبوا بعودة الأمير خالد إلى بلده (Jaques Jurquet, 2010, p. 271).

كما واصل الحاج علي رفقة العمال المغاربيين بفرنسا العمل بتوصيات الأمير خالد ونظموا سلسلة من اللقاءات والاجتماعات والمشاورات بهدف القيام بعمل لتحسين أحوالهم وأوضاع بلدانهم وتوجت مشاوراتهم بعقد أول مؤتمر جامع لعمال شمال إفريقيا بفرنسا، وانعقد هذا المؤتمر في 7 ديسمبر 1924م برعاية الحزب الشيوعي الفرنسي وكان الحاج علي من أهم الحاضرين فيه باعتبار مكانته في الحزب الشيوعي واتحاد ما بين المستعمرات، إضافة إلى سمعته المعروفة في أوساط المهاجرين المغاربيين، وحضر المؤتمر 150 مندوب ممثلين عن 75 ألف عامل من شمال إفريقيا بباريس (زوزو، 2010، صفحة 54)، تباحثوا القضايا الاقتصادية والنقابية للعمال وتطرقوا إلى المشاكل السياسية كمحاربة قانون الأهالي، العمل لنيل حق الاجتماع وحرية الصحافة والتعبير (قداش، 2017، صفحة 230).

أظهر المؤتمرون وعيا بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية التي تهم المهاجرين المغاربيين إضافة إلى التأكيد على المطالب السياسية التي جاءت امتدادا للمطالب التي طرحها الأمير خالد من قبل والمتعلقة بالمطالبة بإلغاء قانون الأهالي والمساواة في الضرائب وحق التعليم وإلغاء قانون الهجرة.

في النهاية تبنى المؤتمر بالإجماع لائحة تضم عددا من المطالب الاقتصادية والسياسية واتفق المجتمعون على تنظيم لقاءات دورية في أوساط الأهالي وإدراج مشاكلهم في جدول أعمال المؤتمرات العامة، وأخيرا عبر المؤتمرون عن تضامنهم مع الحركات التحررية في المغرب الأقصى ومصر وتونس ببرقيات تأييد (Jaques Jurquet, 2010, p. 268).

6. نضال الحاج علي عبد القادر من خلال نجم شمال إفريقيا

1.6. دور الحاج علي عبد القادر في تأسيس نجم شمال إفريقيا

لقد تعددت الشهادات والروايات حول نشأة نجم شمال إفريقيا وزمنه وأصل تأسيسه بين من يرجع ذلك إلى مجموعة من المناضلين الجزائريين والمغاربيين، أومن يقول بأنه تأسس بوحي من الحزب الشيوعي الفرنسي، وبين من يرجع الفضل في تأسيسه إلى الأمير خالد وفريق العمل الذي كونه بعد محاضراته بباريس سنة 1924، لكن الملاحظ يرى بأن العنصر الثابت في جميع هذه الروايات والشهادات كان دائما الحاج علي عبد القادر، فهو من أقدم المهاجرين الجزائريين والمغاربيين بفرنسا وقد كان مناضلا في الحزب الشيوعي الفرنسي وعضو في لجنته المركزية، إضافة إلى علاقته القوية بالأمير خالد.

فبخصوص دور الأمير خالد وفريق العمل الذي كونه بفرنسا في تأسيس النجم فنشير إلى أن الحاج علي عبد القادر كان من مستقبلي الأمير خالد حين قدومه إلى فرنسا بل جلس بجانبه أثناء المحاضرات التي نظمها

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بباريس سنة 1924، فقد ذكر عمار خيذر[8] بأن الأمير خالد بعد تنقله إلى فرنسا كوّن فريق عمل من أجل تأسيس نجم شمال إفريقيا لكن الظروف أجبرته على مغادرة فرنسا واستكمل فريقه تأسيس النجم (قداش، 2017، صفحة 238)، وحسب علال الفاسي فإن الأمير خالد أسس لجنة من أبناء الشمال الإفريقي ضمت عدد من العمال استمرت في النشاط حتى بعد رحيل الأمير خالد وكانت عبارة عن هيئة إغاثة للمغاربة وهي التي تحولت فيما بعد إلى جمعية سياسية تحت اسم نجم شمال إفريقيا (الفاسي، 2003، صفحة 14).

نضيف إلى هذا تصريح الحاج علي نفسه في رسالة إلى صحيفة La République Algérienne الناطقة باسم الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ونشرتها بتاريخ 24 ديسمبر 1948 والذي قال فيها عن تأسيس نجم شمال إفريقيا: "**...كنا أربعة رفاق بمن فيهم أنا، وأنا من كتب القوانين واقترح الإسم الذي تم قبوله عل الفور ثم بدأنا العمل،...لقد كنت أرغب في السير على الطريق الذي رسمه له الأمير خالد**" (Righi, 2006, p. 131).

أما بالنسبة للقائلين بدور الحزب الشيوعي الفرنسي في تأسيس نجم شمال إفريقيا، فمن بين أعضاء النجم المؤسسين نجد الحاج علي عبد القادر المناضل البارز في الحزب الشيوعي وعضو في لجنته المركزية، إضافة إلى دوره المهم في تنشيط اتحاد ما بين المستعمرات الذي كان النجم في أول أمره هو نفسه فرع شمال إفريقيا في هذا الإتحاد، وعقب إنشاء النجم كان الانتماء إلى لفرع شمال إفريقيا لاتحاد ما بين المستعمرات وإلى النجم شيئا واحد ولم يكن الكثير من المناضلين في البداية يميزون بين التنظيمين أصلا، وكان مكتوبا في بطاقة الانخراط في النجم تلك الفترة: "**نجم شمال إفريقيا، جمعية المسلمين الجزائريين والتونسيين والمغربيين، الرئيس الشرفي الأمير خالد، فرع اتحاد ما بين المستعمرات**" (صالح، 2018، صفحة 386).

ويمكن رؤية دور الحاج علي عبد القادر بصورة أكبر لدى أصحاب الرأي القائل بأن تأسيس النجم تم من قبل عدة مناضلين جزائريين ومغاربيين بفرنسا، حيث يؤكد محمد قنانش بعد سماعه لروايات مصالي الحاج وسي جيلاني[9] وبانون آكلي[10] وكلهم من مؤسسي النجم، بأن العمال الجزائريين بفرنسا عقدوا سلسلة من اللقاءات والمشاورات بعد زيارة الأمير خالد لفرنسا فتأثروا بنضاله، ووسط ظروف حرب الريف بالمغرب واندلاع الثورة في سوريا اقتنع العمال الجزائريون بضرورة القيام بعمل لإصلاح أحوالهم وتحرير أوطانهم وقرروا إنشاء حركة وطنية للكفاح السياسي تشمل الجزائر وتونس والمغرب لأن الاستعمار كان يعاملهم معاملة واحدة، وبدأت مشاورات التأسيس في أكتوبر 1925 بقيادة الحاج علي عبد القادر ومصالي الحاج وانتهت بالتأسيس في جوان 1926 (قنانش، 1991، الصفحات 25-26).

وأورد توفيق المدني شهادة حول تأسيس النجم تفيد بأنه أثناء إقامته بباريس ممثلا لوفد الحزب الدستوري التونسي اتصل به الحاج علي عبد القادر ومصالي الحاج يوم 03 ديسمبر 1925 وتحدثا معه عن عزمهما إعلان حركة سياسية استقلالية وطنية تحت اسم "**نجم شمال إفريقيا**"، وأخبراه بأن النجم يعمل الآن فعلا، وطلبا

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

منه تحديد موعد مع وفد الحزب الدستوري، وأنهما اتصلا كذلك بالمناضلين في المغرب الأقصى (بلقاسم، 2013، صفحة 319).

وصرح بانون آكلي الذي حضر الاجتماعات الأولى لتأسيس النجم بأن هذا الأخير تم تأسيسه بمبادرة من الحاج علي عبد القادر وعقد أول اجتماع له في 12 جوان 1926 (قداش، 2017، صفحة 238)، وفي تقرير للشرطة الفرنسية عن مصلحة شؤون أهالي شمال إفريقيا صدر بتاريخ 28 جوان 1926 يرصد وجود جزائريين بأحد المقاهي يطلبون الاشتراك في جمعية إسلامية تحت اسم "**نجم شمال إفريقيا**"، ويضيف التقرير "**بأن هذه الجمعية أسست بتحريض من المسمى حاج علي**" (بن العقون، 1984، صفحة 124).

يتضح من كل هذه الشهادات الدور الريادي للحاج علي عبد القادر في تأسيس نجم شمال إفريقيا والذي قد يعد أهم حدث في مسيرته النضالية ضد الاستعمار لما شكله النجم من أثر على الحياة السياسية في الجزائر رغم أن نضاله في النجم لم يدم طويلا.

2.6. نشاط الحاج علي عبد القادر في نجم شمال إفريقيا

عين الحاج علي عبد القادر كأول رئيس لنجم شمال إفريقيا، ويذكر مصالي الحاج البداية الصعبة لعمل مناضلي النجم في نشر الدعاية له بين أوساط العمال المهاجرين، ويقر بأنه حتى الحاج علي الذي كان معروفا في بعض الأوساط المغاربية قد وجد هو الآخر صعوبة في ذلك، ويدل حديثه هذا على أهمية الحاج علي بين باقي مناضلي النجم، ويضيف مصالي بأن الحاج علي كثيرا ما استضاف اجتماعات مناضلي النجم في محله لأنه لم يكن لهم مقر، كما يقر بأن النجم استفاد كثيرًا من علاقة الحاج علي بالحزب الشيوعي الفرنسي في تذليل الكثير من الصعوبات واستطاع الحاج علي تسخير وسائل ومقرات الحزب الشيوعي لخدمة النجم، وإضافة إلى مساعدته فإن الحاج علي كان يوبخ مناضلي النجم بلباقة، ويضيف مصالي بأنه كان يلتقي الحاج علي كل 3 أو 4 أيام ويقدم له تقريرا عن النتائج والصعوبات التي تعترضه ويستمع إلى توجيهاته، ومرة أخرى يظهر الدور المهم الذي لعبه الحاج علي في بداية نجم شمال إفريقيا، فبعد دوره الريادي في التأسيس ها هو يقوم بدور المرشد والمستشار للنجم وأعضاءه في بداية نشاطهم نظرا لخبرته السياسية ومركزه في الحزب الشيوعي الفرنسي (مصالي، 2007، الصفحات 136-138).

وسعى نجم شمال إفريقيا إلى جذب الطلاب المغاربيين إلى صفوفه، ونجح الحاج علي عبد القادر في إثارة اهتمام الحبيب بورقيبة الذي شكر النجم نيابة عن الطلاب التونسيين، وشارك الحاج علي الطلاب المغاربة والتونسيين بشكل خاص في عدة اجتماعات في 14 جويلية و01 و18 نوفمبر 1926، وأقام عدة حفلات وتجمعات كان يدعو لها العمال والطلبة (Ageron Charles-Robert, 1983, p. 28)، ونظرا لالتزاماته الكثيرة فقد تنازل الحاج علي عن رئاسة النجم ودفع بها إلى التونسي الشاذلي خير الله واحتفظ لنفسه بمنصبي نائب الرئيس وأمين المال وأبقى الأمانة العامة لمصالي الحاج (بلحاج، 2018، صفحة 391).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وحسب مصالي دومًا فإن الحاج علي عبد القادر كان صاحب فكرة المشاركة في مؤتمر بروكسل لمناهضة الاستعمار في فيفري 1927، وكلف مصالي بالحضور وتمثيل النجم رفقة التونسي الشاذلي خير الله، وعمل الحاج علي طويلا للتحضير لهذا المؤتمر رفقة مصالي الحاج وقاد وفد النجم إلى بروكسل رفقة مصالي الحاج وخير الله بعد إدماجهم في الوفد الفرنسي للحزب الشيوعي (مصالي، 2007، صفحة 141)، وخطب مصالي الحاج في المؤتمر وقدم مطالب النجم التي كان من أبرزها المطالبة باستقلال الجزائر علنيا لأول مرة.

3.6. الخلاف بين نجم شمال إفريقيا والحزب الشيوعي الفرنسي وموقف الحاج علي عبد القادر منه

مع مطلع سنة 1927 تطورت لهجة وأسلوب نجم شمال إفريقيا وتطورت معها المطالب في اجتماعات وخطب مناضلي النجم، وشهد مؤتمر بروكسل في فيفري 1927 المطالبة علنيا "**بالاستقلال**"، ولم تعجب المطالب الجديدة لنجم شمال إفريقيا قادة الحزب الشيوعي الفرنسي، فالمطالب الخاصة بأولوية اللغة العربية والتشبث بالحضارة العربية الإسلامية كلها أمور غير واردة في إستراتيجية الشيوعيين، أما مبدأ الاستقلال فكان بداية اللاوفاق مع الشيوعيين والذي مهد للقطيعة بين الجانبين، فالشيوعيون أرادوا قيادة النجم تحت نفوذهم ووفق ما يمليه عليه اتحاد ما بين المستعمرات (بلقاسم، 2013، الصفحات 328-331)، وهو الأمر الذي كان يرفضه مناضلو النجم أصحاب التوجه الوطني.

وفي اجتماع لها وافقت اللجنة الاستعمارية للحزب الشيوعي الفرنسي على إدراج شعارات الاستقلال في البرنامج الذي سيدافع عنه الشيوعيون داخل النجم فيما يخص تونس والمغرب، أما فيما يتعلق بالجزائر فقالوا بأنهم مستعدون للدفاع شفهيًا عن استقلال هذا البلد لكن من السابق لأوانه الإشارة إلى هذا الشعار في أدبيات نجم شمال إفريقيا (Céline Marangé, 2016, p. 61)، وبسبب تصلب آراء مناضلي النجم قرر الحزب الشيوعي الفرنسي في ربيع سنة 1927 قطع مساعداته المادية عن النجم، ولم يستطع الحاج علي عبد القادر والمناضلون الجزائريون في الحزب الشيوعي إقناع قيادة هذا الأخير بخيارهم فسلموا أمرهم ولم يستطيعوا الخروج عن إرادة الحزب، وأبلغ الحاج علي مصالي الحاج بخبر قطع المساعدات المادية من الحزب الشيوعي لكنه حرص على الاستفادة من دعمهم في مجالات أخرى (مصالي، 2007، صفحة 141).

وقد بدا واضحا تأثر الحاج علي كغيره من المناضلين الجزائريين المنتمين للحزب الشيوعي الفرنسي من موقف هذا الأخير من مسألة المطالبة باستقلال الجزائر، ولم يستطع مواجهة التيار الوطني المتنامي في النجم بقيادة مصالي الحاج المندفع للمطالبة بالاستقلال، ولم يكن موقف الحاج علي يعكس رفضه لفكرة الاستقلال وإنما كان متخوفا من أن مبدأ الاستقلال قد يبعد الجماهير المغاربية عن الحزب بدل أن يجذبهم إليه، وكان هذا موقف غيره من دعاة الاعتدال في النجم (بلقاسم، 2013، صفحة 330).

وفي نوفمبر 1927 وقعت جمعية عامة للنجم وأثناء المناقشات غلبت التوجهات الوطنية لكثير من المناضلين بصفة صريحة، وطرحت لائحة للتصويت تطالب باستقلال الجزائر تم المصادقة عليها بأغلبية كبيرة، فقامت العناصر الشيوعية في النجم مثل الحاج علي عبد القادر بالاحتجاج ثم غادروا القاعة (قداش،

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

2017، صفحة 240)، وابتداء من سنة 1928 بدء ظهور الحاج علي في نشاطات النجم يقل شيئا فشيئا وتأثيره يضمحل.

وأثارت توجهات النجم الجديدة استياء الكومنترن في مؤتمره السادس المنعقد سنة 1928 واتهم النجم بإتباع سياسة وطنية ضيقة، وأوصى الحزب الشيوعي الفرنسي بالحرص على ألا يتطور نجم شمال إفريقيا في شكل حزب مغلق بل إلى كتلة مناضلة تضم منظمات ثورية مختلفة (أبو القاسم سعد الله، 1992، صفحة 327)، فازدادت القطيعة بين نجم شمال إفريقيا والحزب الشيوعي وتواصل غياب الحاج عبد القادر عن نشاطات النجم.

وفي 20 جانفي 1929 كان آخر ظهور علني للحاج علي في نشاطات يشارك فيها النجم وذلك في تجمع أقيم بـ "**لغرانج أو بيلز**" "**La Grange aux Belles**" بباريس حضره بضعة آلاف من المهاجرين، وتناول الكلمة كل من الحاج علي عبد القادر ومصالي الحاج وظهر التباين في الرؤى واضحا بين الرجلين، فمصالي الحاج لم يتخلى بأي حال من الأحوال عن الهدف الذي وضعه لنفسه، وأوضح بصوت عال بأن الاستقلال الكامل وحده الذي يرضي الشعوب المضطهدة، من جهته أكد الحاج علي بأن الحل الوحيد هو تأسيس برلمان محلي وهو الخطوة الأولى نحو استقلال الجزائر، وبالتالي تباعدت المسارات السياسية وهذه المرة بشكل لا رجعة فيه بين الرجل المؤسس للنجم مع زعيمه الحالي (Stora, 1985 B, p. 78).

ورغم هذا فقد بقي الحاج علي محافظا على علاقته الاجتماعية بمناضلي النجم خصوصا مصالي الحاج وكان يدعوه مع زوجته إلى مزرعته في برونوي (مصالي، 2007، صفحة 150)، ما يظهر عظم شخصية الحاج علي عبد القادر وعدم تخليه عن أبناء بلده وواجباته الاجتماعية نحوهم حتى ولو اختلف معهم في الرأي.

7. خروج الحاج علي عبد القادر من الحزب الشيوعي ونجم شمال إفريقيا

لقد أدى تقلب الحزب الشيوعي الفرنسي من القضية الجزائرية إلى خيبة أمل الحاج علي من حزب ناضل في صفوفه منذ تأسيسه، كما أن الاندفاع نحو الاستقلال وتجاوز مراحل النضال من طرف مصالي الحاج ورفاقه حسب رأي الحاج علي قد أثار غضبه، وأدى هذا إلى ابتعاده عن الطرفين النجم والحزب الشيوعي الفرنسي الذي يذكر مصالي بأن الحاج علي استبعد منه سنة 1930 بسبب ترشحه في الانتخابات البلدية دون استشارة الحزب، وعند إصدار القضاء الفرنسي قرار بحل النجم في 20 نوفمبر 1929 كان الحاج علي منقطعا عن نشاطاته، لكن مصالي الحاج رئيس النجم وقتها أكد للحاج علي في أحد لقاءاتهما بأن مكانه لا يزال قائما بينهم وتحت تصرفه (مصالي، 2007، صفحة 150)، وبالتالي يصعب تحديد تاريخ دقيق لخروج الحاج علي عبد القادر من نجم شمال إفريقيا، فرغم أن الكثير حدد سنة 1928 كتاريخ لخروجه من النجم نسبة لانقطاع نشاطه به (قداش، 2017، صفحة 240) إلا أن البعض ينفي هذا بدليل بقاء علاقته بمناضلي النجم الذي اختلف معهم خصوصا مصالي الحاج وبعض الإشارات إلى تعاطفه وظهوره في أنشطة للنجم كمساهمته في

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إطلاق جريدة "**الأمة**" في أكتوبر 1930 (Righi, 2006, p. 122)، لكن من المؤكد بأنه ما إن حلت سنة 1932 لم يبق أي اتصال بين الحاج علي عبد القادر ونجم شمال إفريقيا (Righi, 2006, p. 192).

ولم يكن المصير الذي لقيه الحاج علي عبد القادر يليق برجل ناضل طويلا ضد الاستعمار وكان له الفضل الكبير في تأسيس أول حركة حديثة تطالب باستقلال الجزائر، وهو ما يدفع للتساؤل حول السبب في عدم نجاح الحاج علي عبد القادر مثل رفقاءه في اتحاد ما بين المستعمرات خصوصا هوشي منه الذي قاد النضال الوطني لبلده لتحقيق الاستقلال وأصبح أول زعيم له. لقد علق مصالي الحاج على موقف للحاج علي عبد القادر في بداية الخلاف بين مناضلي النجم والحزب الشيوعي الذي انزعج من مصالي الحاج وطريق إدارته للنجم وحاول الشيوعيون إلقاء مصالي خارجا بعلم الحاج علي وقد قال عن موقف الحاج علي وقتها: "**في هذه القضية لم يكن الحاج علي إلا آلة بصفته عضو في اللجنة الاستعمارية للحزب الشيوعي الفرنسي وأظن أن هذا قد خلخل موازينه بصفة جدية**" (مصالي، 2007، صفحة 150).

إن التشبث الشديد بالحزب الشيوعي الفرنسي لم يسمح للحاج علي بانتزاع نفسه من الهيمنة السياسية والتنظيمية للفرنسيين كما فعل رفيقه هوشي منه، فقد كانت نظرة الحزب الشيوعي الفرنسي إلى المسألة الاستعمارية مخالفة لنظرة الشعوب المستعمَرَة، وكانت سياسته اتجاه المسألة الاستعمارية تخضع للسياسة العامة للكومنترن والتي تتغير وفق الظروف الدولية وعلاقات موسكو مع الغرب، فقد ناهض الكومنترن الاستعمار بشدة في البداية لمحاربة الإمبريالية المنافسة لوجوده، ثم تردد في دعم استقلال المستعمرات بعد تقاربه من فرنسا مبررا تردده بأولوية ثورة البوليتاريا والعمال ضد الرأسمالية على الاستقلال، وكل هذا التردد وتغير التكتيكات لم يكن يثير اهتمام الوطنيين في المستعمرات ولم يسمح لهم بإتباع هذا النهج البعيد عن تطلعات الجماهير المضطهدة والتي تزداد معاناتها يوما بعد يوم وهذا ما جعل مناضلي النجم يختلفون مع الحزب الشيوعي (Jaques Jurquet, 2010, pp. 403-404).

وبعد فترة من الانقطاع عن السياسة عاد الحاج علي عبد القادر لنضاله ضد الاستعمار فقد أبى أن يقف متفرجا أمام معاناة أهالي بلده وعاد ليدعم أي عمل قد يخفف من معاناتهم ويدعم قضيتهم، وانضم هذه المرة إلى حركة إصلاحية تحت اسم "**جامعة الدفاع عن مصالح مسلمي شمال إفريقيا**".

8. نضال الحاج علي عبد القادر في جامعة الدفاع عن مصالح مسلمي شمال إفريقيا

كانت "**جامعة الدفاع عن مصالح مسلمي شمال إفريقيا**"[11] حزب سياسي مصرح به للسلطات الفرنسية يتزعمها صاحب فندق جزائري هو "**أحمد منصوري**" (مصالي، 2007، صفحة 143)، وقد كانت هذه الجامعة أو الرابطة أقرب للحزب الاشتراكي وكان بعض أعضائها ينتمون له وضمت مجموعة من المثقفين وعدد قليل من العمال، وكانت مطالبها إصلاحية وتركز نشاطها في الاتصال بالبرلمانيين الفرنسيين لطرح مطالبهم وكذلك الاتصال بالهيئات المعادية للاستعمار (زوزو، 2010، الصفحات 155-157).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وتميزت هذه المرحلة من نشاط الحاج علي بقلة الظهور فلم يعد ذلك المناضل المتقد بالنشاط والحيوية، إلا أن ذلك لم يمنعه من التأثير على الجامعة التي كانت مطالبها إصلاحية ثم تشدد موقفها وتطورت مطالبها تدريجيا تحت تأثير الحاج علي عبد القادر (مصالي، 2007، صفحة 222) الذي انضم إلى فريق تحرير جريدتها "**الشعب الجزائري**" "le **peuple algérien**" ليصبح فيما بعد رئيس تحريرها في سنة 1935 (Ageron Charles-Robert, 1983, p. 53).

ولم تذكر المصادر إلا مشاركات نادرة للحاج علي عبد القادر في بعض التظاهرات السياسية مثل ما ذكره مصالي الحاج من التقاءه بالحاج علي في 26 جوان 1936 بتجمع أقامه نجم شمال إفريقيا و"**منظمة الدفاع عن الشعوب المستعمرة**" وبمساهمة كل ممثلي الشعوب المضطهدة من تونس والمغرب وسوريا والمستعمرات الفرنسية في إفريقيا والهند الصينية وغيرها...(مصالي، 2007، صفحة 197)، وعند تولي الجبهة الشعبية السلطة في فرنسا ساند الحاج علي برنامج الإصلاحات التي وعدت به ونوّه بمشروع "**بيوم فيوليت**" لكنه تراجع عن ذلك بعدما قامت السلطات الفرنسية بحل نجم شمال إفريقيا، ففي احتجاج عام نظمته جامعة الدفاع عن مصالح مسلمي شمال إفريقيا بتاريخ 11 فيفري 1937 احتجاجًا على حل السلطات الفرنسية لنجم شمال إفريقيا في 26 جانفي 1937، ووسط عدة آلاف من المهاجرين الحاضرين تناول الحاج علي عبد القادر الكلمة وصرح: "**كنت لصالح مشروع فيوليت ولكني ألاحظ الآن أنه خدعة**" (مصالي، 2007، صفحة 222).

كما كان له حضور في اجتماع إعلان تأسيس حزب الشعب الجزائري الشكل الجديد لنجم شمال إفريقيا في "**تانتير**" يوم 11 مارس 1937 لكن دون أن ينضم للحزب (Righi, 2006, p. 193).

واستمر غياب الحاج علي عن الأحداث السياسية طيلة فترة الحرب العالمية الثانية وبعد الحرب تعاون مع أحمد منصوري وأحمد بهلول لإعادة إطلاق جريدة " **le peuple Algérienne** " "**الشعب الجزائري**" التي توقفت أثناء الحرب (أحمد الخطيب، 1986، صفحة 118)، إضافة إلى ظهوره من خلال بعض الرسائل التي كان يرسلها إلى صحيفة La République Algérienne الناطقة باسم الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وكانت تنشرها على صفحاتها (Righi, 2006, p. 129)، ليبدي لاحقا إعجابه بفرحات عباس وحزبه وشجعهم على متابعة السير في الطريق الوحيد الذي يؤدي إلى تحرير إخوانهم المسلمين على حسب قوله (صادق سلام، 2013، صفحة 82). وبعد أن أنهكه المرض في تلك الفترة دخل مستشفى بوبيني وبقي به إلى غاية وفاته في ماي 1949. (Righi, 2006, p. 56)

خاتمة

ومن خلال ما تطرقنا إليه يتضح لنا قيمة نضال الحاج علي عبد القادر في محاربة الاستعمار، فبالنظر إلى الظروف التي برز فيها نضاله وتوقيت ظهوره إلا أنه لم يذخر جهدا في فضح سياسة الاستعمار والعمل على التخفيف من معاناة أبناء شعبه، ويمكن تلخيص أهم نتائج البحث كالتالي:

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ناضل الحاج علي عبد القادر في محاربة الاستعمار انطلاقا من الأحزاب الفرنسية خصوصا الحزب الشيوعي الفرنسي، حيث فرض نفسه داخل هيئاته وبات أحد أهم مناضليه لما يتميز به من خصال فقد كان مناقشا ذكيا وخطيبا ماهرا، وقد عرف الحاج علي أهمية الصحافة لإسماع صوته فاتخذ منها منبرا لنضاله وبرع في استغلالها وكان صحفيا نشيطا اتصف بالنقد الجارح لسياسة الاستعمار وفضح أعوانه.

حافظ الحاج علي عبد القادر على شعوره الوطني رغم هجرته الطويلة بفرنسا وانتمائه إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، وحاول من مركزه في الحزب الشيوعي واتحاد ما بين المستعمرات خدمة قضية الجزائريين والمغاربيين والدفاع عن تحررهم من الاستعمار.

بلغ الحاج علي عبد القادر أوج نضاله بعد تأسيس نجم شمال إفريقيا لما شكله النجم من أثر على الحياة السياسية في الجزائر حيث كان له دور ريادي في تأسيسه وعين كأول رئيس له.

رغم ما شهدت مسيرة الحاج علي النضالية من بعض التقلبات إلا أنه لم يحد عن مبدأ محاربة الاستعمار، فرغم الخلاف الذي نشأ بينه وبين مع مناضلي النجم وخيبته من تقلبات الحزب الشيوعي الفرنسي من القضية الجزائرية ما أدى إلى انسحابه من الطرفين، إلا أن روح النضال ضد الاستعمار لدى الحاج علي عبد القادر لم تخفت وواصل نشاطه بعد أن انتمى إلى حركة إصلاحية تحت اسم "**جامعة الدفاع عن مصالح مسلمي شمال إفريقيا**" وترك فيها بصمته بعد أن تشدد موقفها وتطورت مطالبها تدريجيا تحت تأثير الحاج علي عبد القادر.

التعليقات والشروحات

1 – **الشرط الرابع للانخراط في الأممية الثالثة:** لنشر الأفكار الشيوعية تقضي ضرورة القيام بدعاية وتهييج متواصل في أوساط الجيش وإذا كانت الدعاية الجهرية صعبة لوجود قوانين استثنائية ينبغي أن تكون الدعاية سرية، وكل من لا يقوم هذا الواجب يعد خائنا للعمل الثوري، ومن ثم يكون مخالفا الشروط الانخراط في الأممية الثالثة أما الشرط الثامن فقد تضمن: ينبغي على أحزاب البلدان التي لبورجوازيتها مستعمرات، وتضطهد قوميات أخرى – أن تكون طريقة سلوكها واضحة ومحددة، فكل حزب لخرط في الأممية الثالثة عليه أن يكشف – دون هوادة – عن مؤسساته الامبريالية في المستعمرات ويؤيد بالعمل – لا بالقول فقط – كل حركة تحررية في المستعمرات، ويطالب بإخراج الإمبرياليين الذين هم من قوميته من المستعمرات، ويغذي في قلوب عمال بلاده إحساسا أخويا حقيقيا إزاء عمال المستعمرات والقوميات المضطهدة، ويتعهد بنشاط متواصل في أوساط جيوش بلاده ضد كل اضطهاد للشعوب المستعمرة. أنظر: (قداش وقنانش، 2013، صفحة 192).

2 – **اتحاد ما بين المستعمرات أو (L'Union Intercoloniale)**: تأسس في سنة 1921 بطلب من الكومنترن (الأممية الشيوعية الثالثة) وضم أبناء المستعمرات الفرنسية. أنظر: (أحمد الخطيب، 1986، صفحة 106).

3 – **الكومنترن:** المنظمة الدولية للشيوعية العالمية كما يسمى أيضا بالأممية الثالثة.

4 – **مصالي الحاج (1898–1974)**: ولد في تلمسان ونشأ بها، استدعى للجيش سنة 1918 وقضى 3 سنوات في فرنسا، بعد انتهاء خدمته العسكرية لم يبقى طويلا في الجزائر وهاجر إلى فرنسا سنة 1923، التقى الحاج علي ودعاه للحزب الشيوعي ورفقته مع مناضلين آخرين أسسوا نجم شمال إفريقيا وعين أمينها العام ثم رئيسها. أنظر: (قداش وقنانش، 2013، صفحة 232).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

5 - اختلفت تسميات هذه الهيئة من **La Brigade nord-africaine** أو **المكتب العربي أو مصلحة الشؤون الأهلية** وسماها المهاجرون **بمصلحة نهج لوكونت** نسبة للمكان الواقعة به، وقد كان الخطاب الرسمي الفرنسي يبرر وجودها بكونها مصلحة إدارية واجتماعية تقدم خدماتها إلى المهاجرين من شمال إفريقيا لكن التاريخ يثبت بأنها كانت مصحة بوليسية لمراقبة مهاجري شمال إفريقيا. أنظر: (الكبير عطوف، 2012، صفحة 139).

6 - **الأمير خالد بن الهاشمي (1875-1936)**: حفيد الأمير عبد القادر ولد بسوريا والتحق بالجيش الفرنسي وترقى إلى رتبة نقيب، انضم إلى الشبان الجزائريين وبعد الحرب العالمية تقاعد من الجيش وبدء حركة سياسة من أهم مطالبها عدم التنازل عن الأحوال الإسلامية والمساواة مع الفرنسيين، تعرضت حركته للقمع وأجبر على مغادرة الجزائر سنة 1923. أنظر: (قداش، 2017، صفحة 152).

7 - **الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي (1882-1963)**: المشهور بعبد الكريم نسبة إلى والده، من عائلة كبيرة في المغرب تلقى تعليمه بالقرويين وعمل بالتدريس ثم القضاء، ساند والد بعد ثورته ضد الإسبان وخلفه في قيادة ثورة الريف بعد وفاته سنة 1920، ذاع صيته بعد أن هزم القوات الإسبانية في عدة معارك فتحالف الإسبان مع الفرنسيين وهزموه سنة 1926 وتم نفيه إلى جزيرة "**رينيون**" في المحيط الهادئ التي بقي بها إلى غاية سنة 1947 أين تمكن من الفرار وحل بمصر ليقود النشاط السياسي المغاربي التحرري. أنظر: (بلقاسم، 2013، الصفحات 164-181).

8 - **عمار خيذر**: من مواليد 1906 هاجر إلى فرنسا أوائل الثلاثينات وانضم إلى النجم وأصبح عضوا في إدارته وتولى تسيير النجم فترة إبعاد مصالي إلى سويسرا، أنظر: (Stora, 1985 A, p. 85).

9 - **سي جيلاني محمد السعيد (1880-1955)**: من تيزي وزو هاجر إلى فرنسا قبل الحرب العالمية الأولى، انخرط في نقابة CGTU، من مؤسسي النجم سنة 1926 وكان مسير جريدة الأمة. أنظر: (قداش وقنانش، 2013، صفحة 234).

10 - **بانون آكلي (1889-1983)**: من القبائل الصغرى بسطيف هاجر إلى فرنسا سنة 1916 وعمل في عدة مصانع ثم بائع متجول، حضر اجتماعات الأمير خالد بباريس وساهم في تأسيس النجم سنة 1926 مكان عضو في اللجنة المركزية. أنظر: (أحمد الخطيب، 1986، صفحة 137).

11 - اختلفت المصادر في تسمية هذا التنظيم فقد نجده في أحيانا تحت اسم "**جامعة الدفاع عن مصالح مسلمي شمال إفريقيا**" وفي أخرى باسم " **جامعة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين**" وكذلك نجد اسم "**جامعة الدفاع عن مصالح المسلمين المغاربيين**". أنظر: (زوزو، 2010، صفحة 155).

قائمة المصادر والمراجع

باللغة العربية

- أبو القاسم سعد الله، (1992)، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930**، ج 2، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
- أحمد الخطيب، (1986)، **حزب الشعب الجزائري**، ج 1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- الكبير عطوف، (2012)، **الهجرات العالمية والمغربي قضايا ونماذج - مقاربة سوسيو تاريخية - (1045-2011)**، أكادير، المغرب، منشورات جامعة ابن زهر.
- جورج أوقيد، (1988)، **اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية (1905-1955)**، ج 2، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر.
- صادق سلام. (2013)، **فرنسا ومسلموها قرن من السياسة الإسلامية (1895-2005)**، أبو ظبي، الإمارات، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة).
- صالح بلحاج، (2018)، **الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1910-1939**، الجزائر، دار قرطبة للنشر والتوزيع.
- عبد الحميد زوزو، (2010)، **الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين (1914-1939)** نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- عبد الرحمان بن العقون، (1984)، **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى 1920-1930**، ج 1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- علال الفاسي، (2003)، **الحركات الإستقلالية في المغرب العربي**، الدار البيضاء، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة.
- محفوظ قداش، (2017)، **تاريخ الحركة الوطنية 1919-1939**، ج 1، الجزائر، دار الأمة.
- محفوظ قداش ومحمد قنانش، (2013)، **نجم شمال إفريقيا 1926-1937 (وثائق وشهادات لدراسة التيار الوطني الجزائري)**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- محمد بلقاسم، (2013)، **وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا – الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954**، الجزائر، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع.
- محمد قنانش، (1982)، **الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939**، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- محمد قنانش، (1991)، **المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945**، الجزائر، منشورات دحلب.
- مصالي الحاج، (2007)، **مذكرات**، (تر: محمد المعراجي) الجزائر، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار.

باللغة الأجنبية

- Abdellah Righi, (2006), **Hadj Ali Abdelkader pionnier de mouvement révolutionnaire algérien**, Alger, CASBAH Edition.
- Ageron Charles-Robert, (1983), **L'Association des étudiants musulmans nord-africains en France durant l'entre-deux-guerres Contribution à l'étude des nationalismes maghrébins**, Revue française d'histoire d'outre-mer , 70 , n°(258-259), pp 25-56.
- Benjamin Stora, (1985 A), **Dictionnaire biographique de militants nationalistes algérien**, Paris, France, Editions L'Harmattan.
- Benjamin Stora, (1985 B), **MESSALI HADJ pionnier du nationalisme algérien (1898-1974),**Paris, Editions L'Harmattan.
- Céline Marangé, (2016), **Le Komintern- le Parti communiste français et la cause de l'indépendance algérienne (1926-1930)**, Vingtième Siècle, Revue d'histoire, TOME 3, n° (131), pp 53-70.
- HADJALI, (14 décembre 1922), **L'action coloniale, le Bulletin communiste** .

Jaques Jurquet, (2010**), La révolution nationale algérienne et le parti communiste français (T 2) (1920-1939)**, Alger, Editions Sedia.

- L'Humanité, (23 Septembre 1925).
- L'Humanité, (13 Septembre 1924).
- L'Humanité, (14 Juillet 1924).
- L'Humanité, (17 Octobre 1922).
- L'Humanité, (27 Septembre 1924).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)